# الحركة الماسونية بالمغرب

**بوبكر بوهادي**
كلية الآداب ـــ الجديدة

أعتقد أن الغموض مازال يحيط إلى يومنا هذا بموضوع دخول الماسونية إلى المغرب، وتأسيسها العديد من المحافل في مختلف مدنه، واستقطابها العديد من المغاربة الذين انتسبوا إليها ومارسوا أنشطتها وطقوسها.

وكان أول ما أثار انتباهنا إلى هذه الظاهرة ما تداولته بعض الشهادات والكتابات حول انتساب عناصر من الحركة الوطنية المغربية إلى بعض المحافل الماسونية، وما جاء في اعترافات البعض منهم ممن صرحوا وأقروا بذلك، لكن دون تفصيل أو إفصاح حول أسباب ذلك الانتساب وحقيقته، والأهداف المتوخاة منه والكيفية التي تم بها. فأغلب الذين خاضوا التجربة على الأقل ممن يشار إليهم بانتمائهم الماسوني، التزموا الصمت كأنهم أرادوا بذلك نسيان أو دفن ذكريات تلك التجربة وما ارتبط بها.

إن ما يسمح لنا بالحديث عن هذا الموضوع وإبداء ملاحظات حوله من خلال هذه المساهمة، ما استطعنا الوقوف عليه من وثائق عديدة توجد بالأرشيف التاريخي الوطني بمدينة سلمنكة الإسبانية (Archivo Historico - Nacional - Salamanca). وهي تقدم معلومات نادرة ودقيقة وغنية حول الحركة الماسونية وتسر بها إلى المغرب منذ نهاية القرن 19 وإلى غاية نهاية العقد الثالث من هذا القرن، مع ذكر أسماء المحافل التي أسستها والمنتسبين إليها من مغاربة وأوربيين.

ويرجع الفضل في وجود تلك الوثائق الخاصة بالماسونية إلى ما قام به الجنرال فرانكو الذي بمجرد ما أعلن تمرده العسكري ضد الحكومة الجمهورية الإسبانية في 17 يوليوز 1936 انطلاقا من منطقة الحماية الإسبانية بالمغرب، صادر جميع وثائق المحافل الماسونية الموجودة هناك في إطار خطته الرامية إلى استئصالها والقضاء

على كل المنتسبين إليها[1].

## 1 ــ تعريف الماسونية :

والماسونية مشتقة من أصلها اللغوي «Maçon» التي تعني البناء، ويقال بالإنجليزية «Free Maçon» (البنائين الأحرار) بحيث يربطها مؤسسوها بعملية البناء[2]. وبالرغم من تعدد التفسيرات سواء من طرف المنتمين أو المنتقدين لها حول بداياتها الأولى والأهداف التي قامت من أجلها، فإن ما هو مؤكد أنها حركة اتخذت صبغة جمعية سرية أحاطت أعمالها بكثير من الكتمان، واتخذت لنفسها طقوسا ورموزا زادت من غموضها وأثارت العديد من الشكوك حول أنشطتها وأهدافها الحقيقية، مع العلم أنها كانت ترفع دائما شعارات تقوم على الفضيلة والعدل والإخاء ومحاربة التعصب الديني والسعي نحو الإحسان وتحقيق سيطرة نور العقل.

وتعود أصول الحركة الماسونية التي ظهرت في المغرب في نهاية القرن التاسع عشر إلى محفل الشرق العظيم الفرنسي «Le Grand Orient» الذي تأسس سنة 1773، عندما انفصل عن المحفل الأعظم الانجليزي، وباتت تسيطر داخله الأفكار الجمهورية والدعوة إلى العلمانية ومناهضة الكنيسة، وقد تفرعت عن هذا المحفل الرئيسي العديد من المحافل منها المحفل الأعظم الإسباني («Grand Oriente Espanol»)، الذي كانت تنسب إليه العديد من المحافل التي أسست بالمغرب.

وقد واكبت الحركة الماسونية المد الإستعماري الأوربي في تسربها إلى الأقطار المستعمرة، إذ بواسطته انتقل دعاتها ومناصروها الذين بذلوا مجهودات كبيرة من أجل نشر مبادئهم وإقامة المحافل واستقطاب السكان. فبهذه الطريقة دخلت الماسونية إلى المغرب كما إلى غيره من الأقطار الأخرى التي خضعت للهيمنة

(1) Ali Lmrabet, «Masoneria y nacionalismo marroqui en los anos treinta», *ALJAMIA*, N° 9. dec. 1997, pp. 30-35.

بإيعاز من فرانكو قامت القيادة العامة بإنشاء فهرس كبير يضم أسماء 80 ألف شخص ممن اشتبه في انتمائهم الماسوني. وهذا الأرشيف سهل عملية التطهير التي عرفتها إسبانيا بعد ذلك.

Paul Preston, *Franco Caudillo de España*, MONDADORI, Barcelona, 1998, p. 405.

(2) الدكتور أسعد السحمراني، **الماسونية نشأتها وأهدافها**، دار النفائس، بيروت، 1988، ص 17.

الإستعمارية سواء في شمال إفريقيا أو الشرق العربي، حيث عرفت نشاطا كبيرا كما هو الحال في سوريا ولبنان ومصر وتركيا، واتهمت هناك بظلوعها في التمهيد للسيطرة الأجنبية والقضاء على الخلافة الإسلامية وارتباطها بالحركة الصهيونية لتحقيق مشروعها الإستيطاني في فلسطين[3].

## 2 ـــ دخول الماسونية إلى المغرب :

إن أولى الوثائق التي تتحدث عن نشاط الماسونية بالمغرب تعود إلى سنة 1892، حيث عقد أعضاء المحفل الماسوني بتاريخ 6 أبريل من نفس السنة اجتماعهم[4]. ومن الأسماء التي وردت مع إمضاءات أصحابها نجد الحاج علي بوطالب، الحاج لخضر، عبد السلام عمور، سعد الله أمين، الحسين بن إبراهيم السوسي، الحاج ناصر، الحاج محمد النجار، الحاج مصطفى الجزيري، قاسم بن عبد القادر، أحمد بن الفقيه، بالإضافة إلى بعض اليهود أمثال Bendahan و Nahon و Bendabit و Ben chetrit. وقد أخذت لأعضاء المحفل صورة جماعية سنة 1894 وهي السنة التي أخذ فيها المحفل اسم «عبد العزيز» طبقا للمادة السابعة من القانون الماسوني الإسباني. وبذلك أصبح تابعا لمحفل الشرق الأعظم بمدريد. ولم ترد أسماء المغاربة المسلمين السالف ذكرهم في هذا الاجتماع، الذي اقتصر فقط على الأعضاء اليهود وهم :

Joseph el Bengio, Salmon azaguez, Joseph el Cohen, Mair abecasis, Jocab garzon, Haim Bendrimal[5].

ولا ندري الدافع وراء تسمية المحفل بذلك الإسم، وهل له علاقة مع تولي السلطان مولاي عبد العزيز شؤون البلاد في تلك السنة نفسها، علما أنه وجد محفل آخر بعد ذلك حمل اسم «مولاي الحسن» وكان مقره بالرباط، أسسه أحد

(3) **نفس المرجع**، صص 11-115.

(4) نشرت جريدة *EL PAIS* الإسبانية في عددها الصادر يوم 25 شتمبر 1907 معلومات حول تأسيس محفل المغرب الأعظم من طرف ماسونيين إسبان سنة 1890، وأن السلطان مولاي الحسن أرسل «سفارة ماسونية مغربية» لمحفل الشرق الأعظم الإسباني بغية انتسابه إليه، صحبة خمسة آلاف من كبار الشخصيات المغربية. انظر : علي لمرابط، **مرجع سابق**، ص 31.

(5) Archivo Historico - Nacional - Salamanca. Seccion Masoneria. A. 770. A. 8

اليهود من مدينة تطوان وهو Samuel guitta الذي سبق وأن أسس محافل أخرى بطنجة والدارالبيضاء. ويبقى الاحتمال الوارد هو رغبة المؤسسين إضفاء طابع الشرعية على محافلهم في محاولة لاستقطاب المغاربة ودخولهم إليها. إضافة إلى أن ظهور الماسونية بالمغرب اقترن بفترة حكم السلطانين المذكورين[4].

إن ما يمكن ملاحظته من خلال وثائق هذا المحفل والتي تغطي فترة زمنية امتدت إلى حدود سنة 1929، هو اختفاء أسماء المغاربة المسلمين الذين كانوا ضمن لائحة المنتسبين إليه في بداية تأسيسه، وبقي جل أعضائه من اليهود فقط. ففي لائحة المنتمين للمحفل والمؤرخة بـ13 دجنبر 1895، نجدها تضم 25 عضوا، 17 منهم من يهود مدينة طنجة، والباقي من يهود مدينة الدارالبيضاء والجديدة والقصر الكبير. وسوف لن يعود اسم المغاربة المسلمين للظهور ضمن قائمة المنتمين للمحفل إلا في 6 مارس 1900، حيث تخبر الوثائق بدخول عبد الرحمان محمد بن سليمان وهو من مواليد طنجة، مهنته جندي، متزوج والبالغ من العمر 28 سنة. وبقي هذا الجندي هو المسلم الوحيد داخل المحفل إلى غاية 25 شتمبر 1905، إذ في هذا التاريخ طلب الانخراط محمد التمسماني وهو كذلك من مدينة طنجة متزوج، ومهنته حسب ما جاء في تلك الوثائق طبيب.

ويتضح أن المحفل وإلى حدود هذه الفترة كان يعرف فتورا في نشاطه، ولم يظهر المنتسبون إليه حماسا كبيرا في التعريف به والدفاع عنه واستقطاب أعضاء جدد. لكن تأسيس محفل ماسوني فرنسي ومنافسته لمحفل «عبد العزيز» في مدينة طنجة، جعل أعضاء هذا الأخير يفكرون في إعطاء نفس جديد لمحفلهم عبر الاهتمام بالجانب الثقافي والتعليمي وإحداث مدرسة علمانية ومكتبة وإعفاء المغاربة المسلمين من واجبات الانخراط.

إلا أن هذه الإجراءات لم تكن كافية لضمان إشعاع المحفل وارتفاع عدد المنتسبين إليه، إذ كان عليه أن ينتظر فترة طويلة قبل أن ينضم إليه كل من محمد بن المامون وهو من مدينة الرباط، ومحمد بن المكي من مدينة مراكش. ومن المؤكد أن الدافع لهؤلاء في الإقدام على تلك الخطوة هو ما كانت تجمعهم ببعض يهود المحفل الذين كان أغلبهم من التجار، من مصالح ومعاملات تجارية.

إن قوة المنافسة بين الدول الاستعمارية آنذاك حول المغرب خصوصا بين إسبانيا

وفرنسا، ورغبة كل واحدة من الدولتين احتلال موقع متقدم داخله للاستئثار بأكبر حصة منه، والهيمنة عليه، جعل الماسونية بدورها تكثف من نشاطها للتوغل أكثر داخل المجتمع المغربي، واستقطاب الشخصيات الهامة لاستغلال نفوذها وسلطتها من أجل التسرب بسهولة إلى المراكز العليا والنافذة والإكثار من المنتسبين والأتباع. والماسونية بهذه الوسيلة تشبه الطريقة التي انتشرت بها الحماية القنصلية بالمغرب بل ومن المؤكد أنها استغلت الشبكات التي أقامتها تلك الحماية واستفادت من خدماتها لاستقطاب المغاربة.

هكذا، في يوم 27 غشت 1901 رفع محفل «عبد العزيز» إلى المجلس الأعلى للمحفل الكبير بإسبانيا تقريرا أخبره بوصول سفير السلطان ابن سليمان إلى مدينة طنجة ليبحر منها نحو أوربا، وقد تقدمت بغرض السلام عليه لجنة تمثل المحفل وسلمت له بتلك المناسبة تعيينه كعضو شرفي بالمحفل، تنفيذا للقرار الذي اتخذه الأعضاء يوم 25 غشت، بمعنى أنهم كانوا على علم بوصوله فاتخذوا الإجراءات والترتيبات من أجل الاتصال به، ومما جاء في ذلك التقرير : «... أن السفير ماسوني مشهور ومعروف من طرف المحفل الكبير الفرنسي والأنجليزي، وقد اغتبط بتلك المبادرة، وفرح كثيرا بالصور التي قدمت له وتضم أعضاء المحفل ووعدهم بالتحدث إليهم عند رجوعه من سفره في أمور محفلهم...»، وانتهى التقرير بأن السفير جد راض بماسونيته ومتحمس لها، وأنه عندما كان متوجها لركوب الباخرة حياه أحد الأعضاء تحية ماسونية، فأوقف فرسه ورد عليه بتحية مماثلة وودعه بعبارات إسبانية[6].

إننا لا نتوفر على معطيات دقيقة وموثوقة تقيم الدليل على انتماء أفراد آخرين من المخزن المغربي إلى الحركة الماسونية، ودرجة وحجم المسؤولية التي كانوا يتحملونها، لكن بالاستناد إلى بعض المعلومات[7] وتوافق انتشار الحركة مع انتشار الحماية القنصلية وتداخلهما في كثير من الأحيان، ومدى ما حققته الحماية من اختراق كبير للمجتمع وفي أعلى مستوياته، فإننا لا نجازف إذا قلنا أن الظاهرة مست بعض حاشية المخزن أو من انتسبوا إليه.

---

(6) **المصدر نفسه.**

(7) انظر الهامش رقم 4.

لكن مع ذلك فالماسونية بقيت خلال المرحلة الممتدة من نهاية القرن 19 وإلى بداية فترة الحماية معزولة في بعض المراكز، ولم تنجح في استقطاب فئات واسعة من المجتمع المغربي، بحيث اقتصر نشاطها على الجالية اليهودية، وعلى مدينة طنجة التي كانت مقرا لاستقرار الأجانب، وبابا دخلت منه العديد من العوائد والتأثيرات الغربية والغريبة عن المجتمع المغربي.

## 3 ـــ تطور الحركة الماسونية خلال مرحلة الحماية :

كان من نتائج التحولات الكبيرة التي أحدثها نظام الحماية الاستعمارية بالمغرب، وتوافد العديد من الأوروبيين عليه، وتمتعهم بالعديد من الامتيازات والحريات للقيام بأنشطتهم، نمو واضح للحركة الماسونية التي قامت بتأسيس عدة محافل لم تبق مقتصرة على مدينة طنجة، بل شملت العديد من المدن المغربية الأخرى سواء بمنطقة الحماية الفرنسية أو منطقة الحماية الإسبانية. وكان هناك تنافس بين المحفلين الإسباني والفرنسي في خلق أكبر عدد من المراكز.

وقد بقيت مدينة طنجة تستأثر بأكبر عدد من المحافل، فبجانب أول محفل أقيم بها سنة 1892، أسس الماسون التابعون لمحفل الشرق العظيم الإسباني، 20 محفلا آخر، إلى جانب 8 محافل في مدينة تطوان، و7 في مدينة سبتة، و6 في الدارالبيضاء، و5 في كل من مليلية والعرائش، وأقل من ذلك في كل من القصر الكبير والناظور وشفشاون والحسيمة والرباط والقنيطرة ومراكش والجديدة والصويرة، بل وحتى في مدينة الداخلة[8].

وقد اتخذت هذه المحافل أسماءا متباينة ومختلفة، لكن أغلبها كانت له دلالة ماسونية مثل النور (Lux)، الحرية (Libertad)، الضمير (Conciencia)، الشرق (Oriente)، أو أسماء بعض أساتذتها المؤسسين مثل Samuel guitta وMorayta، إلى جانب أسماء عربية مستوحاة من الوسط المغربي مثل عبد العزيز، مولاي الحسن، قلعية، الدارالبيضاء، تطوان، افريقيا...

وبرغم المنافسة التي أشرنا إليها بين الفرعين الإسباني والفرنسي للماسونية، فقد حصل تعاون بين محافلهما في المغرب بشأن الأسرى الفرنسيين والإسبان الذين

---

(8) A.H.N. 770 A .7

كانوا بحوزة محمد بن عبد الكريم الخطابي، أو لدى بعض القبائل المغربية بمنطقة سوس والصحراء. فهناك مراسلات بين تلك المحافل من أجل التنسيق والتدخل لدى السلطات الفرنسية والإسبانية بكل من باريس ومدريد، لبذل مزيد من الاهتمام بمصير أولئك الأسرى والعمل على تحسين ظروف أسرهم، والبحث عن المفقودين منهم، وإيصال المساعدات المادية والطبية إليهم وتمكينهم من مراسلات ذويهم[9].

هذه المجهودات أدت إلى إحداث لجان للتنسيق بين عناصر الرباط وطنجة والعرائش لجمع التبرعات وإعداد التقارير، وإلى إرسال **P. Parent** ممثل قدماء المحاربين الفرنسيين بالمغرب صحبة **R. Montagne** عن صحيفة **Tribune Marocaine** للوقوف بعين المكان على أحوال أسرى الريف، والتدخل لدى محمد بن عبد الكريم للعناية بهم، وتمكينهم من الاستفادة من المساعدات والتبرعات المخصصة لهم.

## 4 ــ الماسونية بالمغرب خلال حكم الجمهورية الإسبانية :

كان لقيام النظام الجمهوري بإسبانيا في شهر أبريل **1931** تأثيره الواضح على تنامي إشعاع الماسونية وانتشار محافلها سواء داخل إسبانيا أو بالمغرب، وذلك يعود أولا للدور الذي قام به بعض رجالات النظام الجديد الذين كانوا من المناصرين والمتحمسين لها، وساهموا في ارتفاع عدد المحافل الماسونية، وثانيا للقيم والمبادىء التي قامت عليها تلك الجمهورية، مثل الدعوى إلى العلمانية، ومناهضة نفوذ الكنيسة وسيطرتها على الحياة العامة للشعب، وهو ما كان يوافق ويصب في صميم مبادىء وأفكار وأهداف الماسونية نفسها.

فنتيجة لهذه الظرفية المواتية عرفت الماسونية انتعاشا ملموسا في المغرب الخاضع للنفوذ الإسباني، إذ زاد عدد محافلها بصفة ملحوظة وبالتالي ارتفع عدد المنتسبين والعاملين داخلها، وأصبح كبار الموظفين داخل الجهاز الإداري الاستعماري، وكبار الضباط في الجيش الإفريقي من المنتسبين إليها رغبة منهم استغلال شبكة العلاقات التي توفرها من أجل تحسين أوضاعهم الإدارية وتسهيل ترقيتهم العسكرية.

(9) A.H.N. 351 A - 22/35 A. 36

وكان الوجه الآخر لذلك الانتعاش، هو ارتفاع عدد المغاربة الذين أصبحوا أعضاءا في الكثير من المحافل تحت تأثير وقدوة برجالات السلطة الاستعمارية. فقد انتسب إليها كبار موظفي المخزن الخليفي ممن كان لهم نفوذ كبير آنذاك بالمنطقة، أمثال الخالد الريسوني باشا العرائش وابن أحمد الريسوني الشريف الذي ارتبطت العديد من أحداث تلك المنطقة باسمه قبل أسره من طرف جيش محمد بن عبد الكريم الخطابي، ثم كذلك القائد الملالي باشا القصر الكبير، وعبد الكريم اللوه باشا الحسيمة[10]. هذا بالإضافة إلى عدد آخر من صغار الموظفين والأعوان والتجار والجنود، قبل أن يلتحق بهؤلاء أسماء مرموقة ولها وزنها داخل العمل الوطني بالمنطقة كما سنوضح ذلك.

هذا النفوذ الكبير الذي أصبح للماسونية ولمحافلها بالمنطقة أثار مخاوف المفوض السامي آنذاك Lopez Ferrer (1931–1933) الذي عرف بمعاداته ومحاربته للماسونية بالمغرب، حيث قرر التضييق على المنتسبين إليها ومراقبتهم من طرف الشرطة، وأعد لائحة بأسمائهم رفعها لإدارة المغرب والمستعمرات بمدريد. فكانت من نتائج حملته، إقالة العديد من كبار الموظفين المدنيين والعسكريين، أمثال الجنرال Cabanillas قائد القوات العسكرية بالمغرب، وEmilio Zapico النائب العام للمفوضية السامية، وCristobal de Lara رئيس الشرطة بالمنطقة، والكومندار Pedro Sanchez Plaza قائد المحلة الخليفية، إضافة إلى إقالة بعض الجنود والموظفين المغاربة[11].

وكرد فعل من طرف الماسونيين اتجاه هذه الهجمة والضربة القوية التي وجهت لهم من طرف المفوض السامي، عقدت محافلهم بالمنطقة اجتماعا بالعرائش يوم 30 يوليوز 1932 تدارسوا فيه الوضعية الصعبة التي أصبحوا يعيشونها من جراء التضييق عليهم، وأعدوا تقريرا عن سياسة Ferrer اتجاههم وأرسلوه إلى المحفل الأعظم بمدريد بغية الاحتجاج لدى الحكومة المركزية وممارسة الضغوطات الكافية من أجل إقالته من منصبه بالمغرب.

---

(10) A.H.N. 95 A — 9. Mohamed B. Azzuz Hakim, La actitud de los moros ante el Alzaniento, Manuecos 1936 ; ALGAZARA - Malaga, 1997, pp. 140-141.

(11) A.H.M. 94. A - 1 / 499 A. 15

### 5 ــ علاقة الوطنيين المغاربة بالماسونية :

في هذه المرحلة من الحكم الجمهوري بإسبانيا وما عرفته من نمو النشاط الماسوني، سوف نلاحظ إقبال أعضاء من الحركة الوطنية بمنطقة الحماية الخليفية على الانخراط في محافلها خصوصا محفل Atlantida بتطوان، حيث انتسب إليه كل من عبد السلام بنونة الذي يعتبر من أبرز الوجوه الوطنية آنذاك بالمغرب، ومن الذين وضعوا الأسس الأولى للعمل الوطني، وعبد الخالق الطريس الذي تزعم الحركة الوطنية بعده، ثم التهامي الوزاني، وأحمد أزرقان، وأحمد غيلان وعبد السلام ابن جلون والحسين الحيحي وحسن الحراق، هذا إلى جانب وطنيين آخرين من العرائش والقصر الكبير وطنجة ممن انتسبوا إلى محافل أخرى مثل محفل Lux ومحفل Oriente ومحفل Perseverancia[12].

ويعتبر عبد الخالق الطريس الوحيد من بين تلك الأسماء التي تركت شهادة اعتراف بانتمائها الماسوني عندما كتب في مذكراته : «... اليوم (25 يوليوز 1932) تم تكريسي بمحفل الماسونية بتطوان التابع للشرق الأعظم بمدريد، وذلك بعد أن أديت الامتحان الضروري في هذه المناسبات. ويوم 28 أخبرني سيدي التهامي الوزاني أنه انتهى من ترجمة الكتيب الذي أصدره المحفل الماسوني ويحتوي على مبادىء الماسونية، وسوف نقوم بطبع هذه الترجمة العربية لتعميم الفائدة...»[13].

إلا أن الحاج عبد السلام بنونة كان سباقا إلى الانخراط في محفل Atlantida، إذ قدم طلب انخراطه في شهر ماي سنة 1931، مرفوقا بتزكية من عضو سابق فيه ــ كما هي العادة في مثل تلك الحالات ــ وهو الحسين الحيحي، وتم قبوله كعضو في المحفل يوم 22 يونيه 1931 وأصبح لقبه الماسوني هو «حسن».

وقد جاء في التقرير الذي أعده أحد أفراد ذلك المحفل حول عبد السلام بنونة : «... رجل ذو ثقافة عالية وأفكار عصرية وليبرالية. وكمسلم فهو وطني... يمكن

---

(12) أورد عزوز حكيم في كتابه السابق لائحة مفصلة بأسماء المغاربة المنتمين للماسونية، صص 140-141.

(13) محمد ابن عزوز حكيم، **يوميات زعيم الوحدة** [**الجزء الأول (1923-1932)**]، الرباط 1990، ص 252.

أن يكون ذو فائدة لنا. لكن يجب بعد عمله بالمحفل إخضاعه للامتحان ليكون عندنا اليقين بأنه يعمل لأجل غايتنا العليا... أراه يستحق الانتساب لمحفلنا»(14).

إن مبادرة بنونة كانت كافية لتحفيز الأعضاء الوطنيين الآخرين على الإقدام لخوض تلك التجربة، لذلك فمن المؤكد أن عبد الخالق الطريس الذي عاد إلى تطوان ليتفرغ للعمل الوطني بعد فترة الدراسة بكل من القاهرة وباريس، قرر بإيعاز من بنونة الانخراط في الماسونية، ومما يثبت ذلك أنه هو الذي زكى طلب انخراطه بتقرير رفعه إلى المحفل بتاريخ 4 يونيه 1932 ومن بين ما جاء فيه كشهادة منه حول الطريس :

«السوابـــق : تفرغ منذ صغره للدراسة.
الأخـــلاق : يتبع قواعد حسن التعايش بالمغرب.
الوضعيـــة : يعيش على الريع الذي تركه له والده.
الثقافـــة : له إلمام كبير بالثقافة والفلسفة العربيتين، يعرف قدرا من اللغة الإسبانية والفرنسية.
الأفكار السياسية : وطني، محب للحرية، يدافع عن احترام تقاليد وعادات كل الأمم.
الأفكار الدينيـة : مسلم عدو للتعصب.
ملاحظات عامة : أراه أهلا للانتساب للماسونية».

وهناك تقرير آخر حول الطريس رفعه للمحفل أحد أعضائه من اليهود وهو Moïses Benanoch، زكى فيه طلبه، واعتبره يتمتع بكل الخصال التي تؤهله للانتماء الماسوني، كحسن السلوك والتسامح، واحترام الأديان السماوية وحبه لوطنه(15).

لكن السؤال الذي يبقى مطروحا هو عن الدوافع التي جعلت الوطنيين المغاربة آنذاك يقبلون على الانخراط في جمعيات سرية كانت تحيط نفسها بالكثير من الكتمان، وتقوم على طقوس وتتبنى رموزا غربية وتتخذ علامات وإشارات لا تخفى دلالاتها وتناقضها مع قناعاتهم الوطنية والدينية.

---

(14) A.H.N. 95 A - 15

(15) A.H.N. 95 A - 7

إن اتخاذ مثل تلك الخطوة لم يكن دون تمعن وتفكر من طرف الوطنيين الذين نعرف أنهم كانوا يستشيرون في مثل هذه الأمور الهامة مرشدهم الأول الأمير شكيب أرسلان الذي بات بعد زيارته لهم بتطوان في شهر غشت 1930، واجتماعه بهم بمنزل عبد السلام بنونة، الموجه لخطواتهم ومرجع قراراتهم[16]. بحيث كانوا يستشيرونه فيما هم مقبلون عليه، ويطلبون مشورته باستمرار. ويمكن أن نستشهد على ذلك التوافق وتلك الاستشارة بأحداث قيام النظام الجمهوري بإسبانيا وإعلان الوطنيين موالاتهم لها بإيعاز وتفاهم تام مع الأمير. ونفس الشيء حصل عند قيام النظام الفرنكاوي وتعاملهم معه، وكذلك ربطهم اتصالات مع ألمانيا النازية، هذا علاوة على تسخير نفوذه وعلاقاته لحثهم ومساعدتهم على الاتصال بالشخصيات والأحزاب الإسبانية.

وبالرغم من عدم توفر الدليل القاطع ـــ سواء لعدم وجوده أو لعدم تمكننا من الاطلاع عليه ـــ على دفع الأمير لهم في اتجاه تلك المغامرة، فمن الثابت أنه كان على علم بدخولهم عالم الماسونية وما كانوا يقومون به من أنشطة داخل محافلها، كما أن علاقاته مع كبار المنتسبين للماسونية من رجالات الجمهورية وأحزابها اليسارية شيء معروف وواضح. لذلك فنحن على يقين من حدوث اتفاق بين الطرفين وذلك بغية تحقيق أهداف سياسية ووطنية عن طريق استغلال القنوات والمسالك التي كانت تتيحها الماسونية[17]، والاستفادة من شبكة العلاقات المتشعبة التي كانت بعض أطرافها تنتهي عند أصحاب القرار السياسي في إسبانيا، سواء داخل الحكومة أو البرلمان أو الأحزاب السياسية.

فبواسطة تلك العلاقات، استطاع الوطنيون إسماع صوت قضيتهم والدفاع عنها والتعريف بها داخل الأوساط الحزبية والسياسية بإسبانيا، بحيث أمكن لكل من بنونة والطريس القيام بزيارات متعددة للعاصمة الإسبانية[18] استقبلا خلالها من

---

(16) Abdelmajid Benjelloun, *Approches du colonialisme espagnol et du mouvement Nationaliste Marocain dans l'ex-Maroc Khalifien*, éd. OKAD, Rabat, 1988, pp. 180-184.

(17) JEAN Wolf, *L'épopée D'abd El Khaleq Torres 1910-1970*, éd. Balland, Paris, 1994, p. 180.

(18) قاما معا بزيارتين لمدريد في سنة 1933، 1934، كما قام الطريس بمفرده بزيارات أخرى خلال السنوات 1935 و1936.

طرف المحفل الأعظم هناك الذي ساندهما في خطواتهما ووعدهما بالعمل من أجل دعم مطالبهم الوطنية.

وبهذه الوسيلة كذلك استطاع الزعيمان الوطنيان إلقاء الخطب والمحاضرات حول الأوضاع بالمغرب، وشرح برنامجهم الوطني، في أرقى النوادي الثقافية مثل Ateneo و Casa del pueblo. وتمكنا من لقاء النواب والوزراء والتحدث إليهم، ونظمت لهما لقاءات صحفية مع أهم الجرائد الإسبانية مثل : La vanguardia, El Liberal, La Voz, La Libertad. فكان الغرض من كل هذه التحركات ممارسة الضغط على الحكومة الإسبانية من أجل تغيير سياستها بالمغرب واستبدال المفوضين الذين كانوا يعادون الحركة الوطنية ويحاربون نشاطها خصوصا فرير Ferrer وموليس Moles.

وقد ترك لنا الطريس في مذكراته معلومات في هذا الشأن دون أن يشير إلى علاقتها بالنشاط الماسوني، إذ كتب على إثر اللقاء الذي جمعه بالوزير الإسباني باريو (Martinez Barrio)، وهو ماسوني نشيط عمل جاهدا على تشجيع ونشر الحركة الماسونية بالمغرب : «... وصل يوم السبت 18 أبريل 1932 — يعني بذلك الوزير — وفي صباح يوم الأحد اتصل بي تلفونيا وسألني هل لي مانع في تناول طعام الغداء معه، فاستجبت لطلبه غير أنني لم أتمكن من الانفراد به أثناء المأدبة، وطلبت منه أن يعين لي موعدا خاصا للتذاكر معه في شؤون قضيتنا، وبعد أن راجع مفكرته حدد الموعد على الساعة الرابعة من هذا اليوم.

وحضرت إلى أتيل ناسيونال على الساعة الموعودة حيث وجدته ينتظرني في غرفته، وقد استقبلني بمزيد من المجاملة، وبعد أن تكلمنا عن الأوضاع العامة مدة طويلة دخلت معه في صلب الموضوع، وشرحت له الوضع الذي توجد عليه قضيتنا الوطنية وما تعانيه من جراء الموقف الذي اتخذه منا فرير منذ تعيينه على رأس الإقامة العامة في السنة الماضية، وأن أم المشاكل القائمة هي عريضة المطالب لفاتح ماي 1931، وعدم السماح لنا بتأسيس جمعية للطلبة المغاربة وبإلقاء المحاضرات، زيادة على تراجعه في قضية الانتخابات البلدية، وطالت المذاكرة معه ساعتين وانتهت بأن واعدني بأنه سيتذاكر في شأننا مع المقيم العام اليوم أو غدا وقال لي أنه يمكننا الاعتماد عليه في كل ما نحتاج إليه بمدريد، وكبرهان منه على

حسن نيته قال لي أنه يمكنني أن أتصل به تلفونيا بمنزله حيث شئت، ولا ريب في أننا اكتسبنا صديقا جديدا لقضيتنا»[19].

وقد كان من نتائج هذا اللقاء أن توصل الطريس بعد يومين برسالة من الإقامة العامة تخبره باستعدادها التفاوض حول المطالب السالف ذكرها. وقد أسفرت المفاوضات بين المفوض السامي والوطنيين بالشمال على اتفاق بين الطرفين ثم تسجيله في محضر بمؤرخ بيوم 5 ماي 1932[20].

إلا أن التجربة الماسونية للوطنيين كانت قصيرة الأمد و لم تعمر طويلا، إذ قدم عبد السلام بنونة طلب إعفاءه من عضوية المحفل يوم 8 يوليوز 1933، متدرعا بكثرة مشاغله واهتماماته التي تحول دون التفرغ للعمل الماسوني، والقيام بواجباته والمواظبة على الحضور في اجتماعات المحفل[21]ورغم محاولة هذا الأخير استدعاءه مرتين للحضور أمام أعضائه لتبرير موقفه — وربما لثنيه عن قراره، بحيث تم تأجيل إجتماع المحفل مرتين متتاليتين لتمكينه من الحضور — فإن بنونة كان قد اتخذ قرارا نهائيا لجعل حد لعلاقته به.

وفي نفس الفترة تقريبا قاطع الطريس المحفل الذي استدعاه بدوره لنفس الغرض يوم 6 شتنبر 1933، لكن أمام استمرار غيابه وانقطاعه عنه قرر المحفل إيقاف عضويته به يوم 17 مارس 1934. ولعل هذا الموقف الصادر عن الرجلين كان كافيا لانسحاب زملائهم في العمل الوطني وقطع علاقاتهم بالنشاط الماسوني.

إن سبب هذه الردة يعود لاكتشاف الوطنيين، أو الأصح وقوفهم على زيف ادعاءات الماسونية وتناقض مبادئها وأهدافها مع ما كانوا يؤمنون به ويعتقدونه. فقد أصدر المحفل العظيم بالمغرب الذي يشرف على كل المحافل الموجودة بهذا الأخير، والتابع بدوره لمحفل الشرق العظيم الإسباني، قرارا في شهر يوليوز 1933 أعلن من خلاله المبادىء التالية :

أ — أن الماسونية مناقضة لمبدأ الوطنية كيفما كان لونها السياسي.

---

(19) يوميات زعيم الوحدة، م.س.، ص 228—229.

(20) ن.م.، ص 235.

(21) A.H.N, 391 - 1

ب ـــ يجب على كل منتمي للماسونية ويزاول نشاطا وطنيا أن يختار بينهما، ويقدم تعهدا مكتوبا يلتزم من خلاله بهذا القرار الماسوني، ويعلن عدم انتمائه إلى الأعضاء النشطين في السياسية الوطنية.

إن هذا القرار الذي كان بمثابة فخ نصبته لهم الماسونية، كان وحده كافيا ليشعر الوطنيين بأنهم مستهدفون في صميم واجبهم الوطني الذي من أجل خدمته انتسبوا إليها وانخرطوا في محافلها، بحيث أظهروا «انتهازية سياسية» واضحة، وهذه ميزة ميزت عمل الوطنيين في شمال المغرب بغية الاستفادة من المعطيات والظروف المحيطة بهم. هكذا وجدناهم جمهوريين متحمسين عند قيام النظام الجمهوري بإسبانيا، وماسونيين عندما فطنوا لأهمية المحافل ونفوذها، وموالين للفاشية بعد انقلاب الجنرال فرانكو وسيطرته على منطقتهم. وعلى امتداد كل هذه التجارب وما انطوت عليه من تناقضات واضحة كان مبدأهم الوحيد هو خدمة قضيتهم الوطنية وتوفير أكبر قدر من الشروط للدفاع عنها.

وإذا كان لكل تجربة ثمنها، فإنهم كانوا سيدفعون ثمن تجربتهم الماسونية بأرواح البعض منهم، أو سجن واعتقال أغلبهم. فنحن نعلم أن الجنرال فرانكو عندما قام بانقلابه انطلاقا من منطقة الحماية بالمغرب وتمكن من السيطرة عليها، قرر ملاحقة ومطاردة كل المنتمين للماسونية، بحيث أنشأ بعد أيام قلائل من الانقلاب ما كان يسمى لجنة تطهير إدارة منطقة الحماية **«Comision depuradora de los Fonctionarios de la administracion de la zona del protectorado»** اعتمدت في تحقيقاتها على وثائق المحافل الماسونية التي تمت مصادرتها من طرف الفلانج الإسباني بالمنطقة، والتي تضمنت أسماء كل المنتمين إليها سواء من الإسبان أو من المغاربة.

إن أهون ما تعرض له الماسون الإسبان هو طردهم من سلك الوظيفة وصفوف الجيش، والسجن والاعتقال. لكن مصير العديد منهم كان هو الإعدام والتصفية الجسدية. وقد أخبرنا قنصل فرنسا بتطوان آنذاك، أن العديد من الماسونيين حاولوا الفرار نحو طنجة أو المنطقة الفرنسية، وأن العديد من الضباط العسكريين والأطباء أقيلوا من مناصبهم، وأن أغلب رؤساء المحافل قد أعدموا. ولمزيد من التشهير بهم قامت الفلانج بنشر لوائح بأسمائهم في الصحف الإسبانية، وضمت تلك اللوائح أسماء العديد من المسلمين واليهود المغاربة.

وإذا استثنينا ما تعرض له اليهود بسبب انتمائهم الماسوني من تعسفات ومضايقات من طرف عناصر الفلانج، واعتقال العديد منهم والزج بهم في السجون والمعتقلات، فإن مصير إخوانهم المسلمين ممن تقاسموا معهم التجربة الماسونية كانت أحسن بكثير، فلم تصدر في حقهم عقوبات أو متابعات سوى ما سجلته الوثائق من حالات استنطاق من طرف السلطات العسكرية، لكنها بقيت جد معزولة.

والحقيقة أن الوطنيين الذين لزموا بيوتهم عند بداية الانقلاب، والتزموا الصمت أمام جو الرعب والإعدامات الجماعية، كانوا ينتظرون أسوأ العواقب. إلا أن مصلحة الجنرال فرانكو وذكاء الكولونيل بيكبدر (Beigbeder) الذي تولى إدارة نيابة الأمور الأهلية بعد الانقلاب، جعل السلطات العسكرية تختار أسلوب المهادنة واستمالة الوطنيين في تلك الظروف الحرجة التي كانت تمر بها حركتهم التمردية، بغية ضمان هدوء المنطقة وعدم عرقلة المجهود الحربي وتجنيد السكان المغاربة.

هكذا جعل الجنرال فرانكو حدا لنشاط الماسونية وعملها بالمغرب بعد نصف قرن تقريبا من التوغل والتسرب وبناء المحافل واستقطاب السكان. وهي إن وجدت استعدادا وترحيبا من طرف بعض اليهود المغاربة والإسبان المقيمين بالمنطقة الذين انتسبوا إليها، وساهموا في تأسيس محافلها خدمة لمصالحهم، فإنها لم تعرف النجاح والانتشار وسط المغاربة المسلمين لما اكتنفها من الغموض والسرية وما أحاطت به نفسها من شعائر وطقوس غريبة عن المجتمع المغربي الذي رأى في دعوتها إلى نبذ التعصب الديني والوطنية الضيقة مسّاً بجوهر وجوده ألا وهو الدين والوطن.